# أطفالنا..مفكرون ونقاد ومبدعون!!

بقلم :محمد أحمد مقبل*

إن الحديث عن الأطفال حديث عن واقع البشرية ومستقبلها، وقد تجلى هذا في الشعار الذي رفعته الأممية الدولية في العام ١٩٧٩ والذي سمي إذ ذاك بالسنة العالمية للطفل حيث تقول عن الأطفال: «اليوم مستقبلهم بأيدينا، وغدا مستقبلنا بأيديهم».

إن الطفل يحمل في داخله نموذج الإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض، وكل فرد هو نسيج وحده؛ في عقله وجسمه ووجدانه، حتى قيل: «إن أدمغة الناس كبصمات الأصابع»، وهذا الإنسان طعامه ليس جاهزا، ومأواه ليس معدا، وثيابه ليست مهيأة، كما أنه كي يتواصل مع أبناء جنسه فلا تكفيه الإشارة أو الحركة بل لا بد له من أن يعرف اللغة حروفها ورموزها ومعانيها، وهو ليس كغيره من الكائنات فلا يسمح لأحد بالدخول في حياته إلا بإذنه ورضاه، ولا يخضع لسيد لأنه يطعمه ويسقيه إلا إذا اقتنع به، فهل نظرنا نحن الراشدين الفلسطينيين، وهل فكّرنا في أولئك الأطفال الذين سيؤول إليهم حالنا ومآلنا!؟

أما الحديث عن رياض الأطفال فهو حديث عن مدى حرصنا على «فلذات أكبادنا»، إنه حديث عن التربية بكامل عناصرها البشرية والمادية؛ من معلمات ومناهج وبيئات، والتي سوف ننشئ بها وعلى أيديها أطفالنا التنشئة التربوية والاجتماعية والفكرية المنسجمة مع استعداداتهم، والمتسقة مع قدراتهم، والملبية لحاجاتهم، ليكونوا كما نتمنى لهم، وكما يريدون لأنفسهم، عملا بالحكمة القائلة: «علّموا أولادكم لزمان غير زمانكم»، وهذا الحديث كذلك دعوة للعمل بقول الشاعر:

وإنمـــا أولادنـا أكبـادنـا ... تـــمشـــي علـــى الأرض
لو هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني عن الغمض

## فما هو واقع رياض الأطفال في بلادنا فلسطين؟

يعتبر شعب فلسطين من الشعوب الفتية لأن نسبة الأطفال ممن هم دون الثامنة عشرة تزيد عن ٥٣ ٪ منه (تعادل ١,٥٤٦ مليون طفل) بحسب (دائرة الإحصاء المركزية الفلسطينية، ١٩٩٨)، وقد بلغ عدد أطفال الرياض والحضانات في بلادنا فلسطين من سن ٣ – ٦ سنوات، ٧٧,١٧٣ طفلا، بحسب المصدر نفسه، أما أطفال الرياض – من ذوي الأعمار ٤ سنوات إلى ٥ سنوات – فقد بلغت نسبتهم ٨٦,٧٪ أي ما يعادل ٦٦,٩٠٠ طفلا، وهؤلاء جميعهم خارج النظام التعليمي الرسمي، لأن نظامنا التعليمي يبدأ من سن السادسة، وقد أُطلق عليهم أطفال ما قبل المدرسة.

إن أطفال ما قبل المدرسة اليوم فريقان: منهم من تهيأت لهم الفرص فالتحقوا برياض أطفال تديرها مؤسسات القطاع الخاص المجازة من قبل دائرة التربية والتعليم، وبعضها تديرها مؤسسات رسمية اجتماعية.

ومنهم من استقر في أقبية المنازل، أو في «ذيول الأمهات» أو في الشوارع يلهون ويمرحون في بيئات «ليست طبيعية» لأنها ليست كما نادى دعاة التنشئة الطبيعية بأن يترك الطفل ليتعلم بنفسه من الحياة، فربما كانت هذه النظرية صحيحة في زمن كانت فيه الحياة نظيفة؛ هواء وماء وترابا.

أما اليوم وقد تبدل الحال، فالأطفال خارج الرياض لا يتعلمون إلا خبرات مكرورة؛ فاليوم عندهم كالأمس، والغد لا يختلف كثيرا عن اليوم، وفي هذا تنميط لحياتهم بل تعطيل لفكرهم ومن ثم قولبة لسلوكهم، وفي كثير من الأحوال تراهم يكتسبون خبرات صادمة، وسلبية، تؤدي بهم إلى رفض التعليم حينما تبدأ حياتهم المدرسية، وربما إلى رفض الحياة والتمرد، وقد حذّر من ذلك أحد الفلاسفة حيث يقول «من الخامسة إلى الخمسين مرحلة واحدة، ولكن من الميلاد إلى الخامسة «مراحل عديدة». كيف لا! وفي كل لحظة من لحظات مرحلة ما قبل المدرسة يكتسب الطفل لغة أو عادة، قيمة أو اتجاها، مهارة أو سلوكا، فلنحزن على أطفالنا الذين لا يجدون من يرعاهم لا في دار، ولا في روضة، ولا في طريق، ومن الأقوال المؤلمة: «أن الطفل داخل الروضة ليس بافضل من الطفل خارجها»!.

إن رياض الأطفال اليوم – بصورة كبيرة – تقام على أساس تجاري استثماري في معظم الأحيان، وعلى أساس أيديولوجي في أحايين أخرى، وهي منتشرة انتشار الفطر! كما أنها تدار في أحسن الأحوال على أيدي معلمات امتهن التدريس في الرياض باعتباره «عمل من لا عمل له» لقلة فرص العمل المتاحة لهن، والتي يصاحبها قبولهن بأي مستوى من الدخل، وذلك لعدم توافر خبرة السعي في الحياة لديهن سواء في هذا المجال أو غيره, بينما نرى في المقابل خريجات بدرجات جامعية في مجال التدريس في رياض الأطفال لا يقبلن العمل بالشروط القائمة، وفي هذا استهانة بعقلية الأطفال وفي حقهم في التعلّم، وفيه تبخيس لإنسان المستقبل الكامن في كل منهم، وليس أدل على ذلك من شهادات علماء النفس المعاصرين حيث يقولون: « إن الأطفال أذكى بكثير مما يتصور معدو المناهج»!

أما عن النظامين الإداري والإشرافي في الرياض سواء على مواردها المادية أو البشرية، فإنه للطبيعة الخاصة /الملكية الخاصة للرياض فلا يواكب في الكثير من الحالات أدنى شروط المهنية: التي تقتضي عقد الدورات التدريبية للمعلمات لمساعدتهن على التأهيل في هذا المجال الحيوي والخطير من مراحل بناء الإنسان، ولتحقيق الرضى الوظيفي لهن حتى يعطين أفضل ما عندهن.

أما عن المنهاج الدراسي المقرر في رياض الأطفال فهناك إلزام من وزارة التربية والتعليم للرياض المرخصة بتبني سلسلة «صديقي مرح»، وهذا المنهاج يحتاج إلى مراجعة حتى تصبح منهجيته واضحة؛ فكأي منهاج لا بد أن تحدد أهدافه، وأن تبوب موضوعاته من حيث المعارف، والمهارات، والقيم والاتجاهات التي ينشد تحقيقها، أما الاقتصار على مجموعات من الأنشطة المسلية حتى وإن كانت متسلسلة سيكولوجيا، فإن لم تكن متسلسلة منطقيا فربما لن تحقق الغاية المرجوة منها.

إن الحاصل اليوم هو الاستعجال على طفل الروضة في تحصيل مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وفي هذا إساءة للمفهوم: أن هدف الرياض هو تهيئة الأطفال للمدرسة، فما التعليم في المدارس إلا قراءة وكتابة وحساب، إن تهيئتهم تكون بحسن الاستماع إليهم، والعمل على تنمية حب الاستطلاع لديهم من خلال تشجيعهم على المبادرة بالسؤال وعمل المداخلات كي يصبحوا مفكرين مستقلين، وناقدين، ومبدعين.

أما بيئات الرياض فهي ليست بأحسن حالاً من بيئات المدارس في ذات الموقع الجغرافي بفعل فلسفة المحاكاة السائدة في المجتمع، فهناك المقاعد الدراسية والطاولات، وهناك السبورة والطبشورة، وغرف الدرس ضيقة، وساحات اللعب محدودة، فأنى للأطفال والحالة هذه أن يطوروا رجل الغد ونساءه الكامن أو الكامنة في كل واحد منهم!؟

في الختام لا يسعني إلا أن أستصرخ أصحاب الضمائر الحية في جميع الهيئات العاملة في الحقل التربوي وفي مجال حقوق الإنسان العربية منها والدولية، أن تنظر إلى هذه الشريحة الصامتة من شرائح المجتمع نظرة حب وتقدير وتكريم، فهي فئة لا تعرف «الهتاف لأحد» ولكنها إن بكت فسوف تفجع كل فرد، فلتمتد لها كل الأيادي بالعطاء الآن، لأنها سوف تمتد لتأخذ منها في الغد.

*رئيس مركز التطوير التربوي-وكالة الغوث للاجئين- غزة

# رياض الأطفال وأهميتها التربوية

بقلم: د. محمد يوسف أبو ملوح*

تعتبر رياض الأطفال مؤسسات تربوية واجتماعية تسعى إلى تأهيل الطفل تأهيلاً سليماً للالتحاق بالمرحلة الابتدائية وذلك حتى لا يشعر الطفل بالانتقال المفاجئ من البيت إلى المدرسة، حيث تترك له الحرية التامة في ممارسة نشاطاته واكتشاف قدراته وميوله وإمكاناته وبذلك فهي تسعى إلى مساعدة الطفل في اكتساب مهارات وخبرات جديدة، وتتراوح أعمار الأطفال في هذه المرحلة ما بين الثالثة والسادسة.

ويحتاج الأطفال في هذه المرحلة إلى التشجيع المستمر من معلمات هذه الرياض من أجل تنمية حب العمل الفريقي لديهم، وغرس روح التعاون والمشاركة الإيجابية، والاعتماد على النفس والثقة فيها، واكتساب الكثير من المهارات اللغوية والاجتماعية وتكوين الاتجاهات السليمة نحو العملية التعليمية.

ويعتبر الطفل في المناهج الحديثة هو المحور الأساسي في جميع نشاطاتها فهي تدعوه دائماً إلى النشاطات الذاتية، وتنمي فيه عنصر التجريب والمحاولة والاكتشاف، وتشجعه على اللعب الحر، وترفض مبدأ الإجبار والقسر بل تركز على مبدأ المرونة والإبداع والتجديد والشمول، وهذا كله يستوجب وجود المعلمة المدربة المحبة لمهنتها والتي تتمكن من التعامل مع الأطفال بحب وسعة صدر وصبر.

إن مرحلة رياض الأطفال مرحلة تعليمية هادفة لا تقل أهمية عن المراحل التعليمية الأخرى كما أنها مرحلة تربوية متميزة، وقائمة بذاتها لها فلسفتها التربوية وأهدافها السلوكية وسيكولوجيتها التعليمية والتعلمية الخاصة بها، وترتكز أهداف رياض الأطفال على احترام ذاتية الأطفال وفرديتهم واستثارة تفكيرهم الإبداعي المستقل وتشجيعهم على التغير دون خوف، ورعاية الأطفال بدنياً وتعويدهم العادات الصحية السليمة ومساعدتهم على المعيشة والعمل واللعب مع الآخرين وتذوق الموسيقى والفن وجمال الطبيعة وتعويدهم التضحية ببعض رغباتهم في سبيل صالح الجماعة.

ومع أن منهاج رياض الأطفال لا يقوم على أسس أكاديمية أو خبرات محددة وإنما يقوم على توفير مختلف الخبرات والتجارب التي تخدم الطفل وتكسبه الخبرة اللازمة وتعمل على تنميته في مختلف مجالات النمو وهذا الأمر مختلف من روضة إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى وهنا المطلب الملح والضروري بأن تقوم الجهات الرسمية المسؤولة بوضع منهج موحد يعمم على الجميع ويجب الاعتناء بمعلمات رياض الأطفال وتحسين أدائهن المهني وعمل دورات تدريبية لهن وتحسين رواتبهن حتى تتماشى مع طبيعة رسالتهن في بناء اللبنات الأولى في حياة الأجيال القادمة.

ومما سبق يمكن تلخيص أهداف رياض الأطفال فيما يلي:

* إمتاع الأطفال في جو من الحرية والحركة.
* إكساب الأطفال المعلومات والفوائد المتنوعة من خلال اللعب والمرح.
* تنمية القيم والآداب والسلوك المرغوب عند الأطفال.
* تنمية الثقة بالنفس والانتماء لدى الأطفال.
* تدريب الأطفال على تحمل المسؤولية والاعتماد على النفس.
* تحفيز الأطفال وخلق الدوافع الإيجابية عندهم نحو العمل.
* تنمية المهارات المختلفة والقدرات الإبداعية لدى الأطفال.
* تعويد الأطفال على حب الجماعة والعمل التعاوني.
* المساهمة في حل كثير من المشكلات لدى الأطفال كالخجل، والانطواء والعدوان....الخ.
* إطلاق سراح الطاقات المخزونة عند الأطفال وتفريغها بطريقة إيجابية.
* توطيد العلاقة بين الطفل ومعلمته من خلال التفاعل معه بصورة فردية.

## الدور التربوي لرياض الأطفال

إن أهداف التربية في رياض الأطفال لا تنفصل عن أهداف التربية بشكل عام، فإذا كانت التربية تهدف إلى بناء المواطن الصالح الذي يسهم في بناء وطنه بشخصية متكاملة، فإن الدور التربوي لرياض الأطفال يتمثل في:

* تنمية شخصية الطفل من النواحي الجسمية والعقلية والحركية واللغوية والانفعالية والاجتماعية.
* مساعدة الطفل على التعبير عن نفسه بالرموز الكلامية.

التتمة ص (٦)

# عقول حرة وتعلم مبدع

بقلم: شهناز جبران

« إما ان يعمل التعليم كأداة تستخدم لتسهيل اندماج الجيل الشاب في منطق النظام الحالي والامتثال له، أو أن يكون التعليم عبارة عن ممارسة الحرية، وهي الوسيلة التي يستطيع فيها الرجال والنساء أن يتعاملوا بشكل نقدي ومبدع مع الواقع وان يكتشفوا كيف يشاركون في تغيير عالمهم». (باولو فريري)

إن الخيار الأول الذي طرحة فريري يسمى التلقين أو «التشريب»، والذي يعني في فلسفة التعليم، غرس المفاهيم والمواقف والمعتقدات والنظريات في عقل المتلقي/ة من خلال عدم إعطائه الفرصة لتفكير نقدي مترو ومتجدد . وفي هذا السياق فان أياً من (المشاركين) في حوار معين لا يكون لديهم الحق بالمشاركة في النقاش بشكل متساو ولا يسمح لهم عرض تفسيراتهم أو توصياتهم وتوضيحاتهم حول أي فكرة، بحيث لا يكون لديهم الفرصة لنقد ايجابي او سلبي «لمشكلة» أو تحدي عرض معين للأفكار المطروحة.

ما تصوره باول فريري يلخص إشكاليات عدة في العملية التربوية والتعليمية في كثير من المجتمعات ومنها المجتمع الفلسطيني ، حيث تسود فيه ظواهر التشريب أو التلقين ليس فقط في المرحلة الأساسية بل في مرحلة رياض الأطفال، عدا عن الاطار العام المتمثل في العنصر الثقافي والاجتماعي الموروث والذي أصلا يحاصر الأدمغة ويحد من قدرتها الإبداعية قبل بلوغها مرحلة القدرة الادراكية.

كل هذا ينقلنا إلى التعرف على الآليات التي يتم من خلالها التلقين/التشريب في العملية التعليمية، وذلك من خلال مجموعة من الجوانب، فإما أن يكون التلقين في احدها أو جميعها، وهذه الاليات هي:

– **طريقة التعليم:** عندما لا يسمح بنقاش حر، ويكون التعليم سلطوياً، حيث يرى المعلم/ة في نفسه المتحكم الوحيد في مجرى النقاش ونوعية الأفكار ولا يجد نفسه مسيرا لعملية حوار تتضمن آراء وأفكاراً مختلفة، قد يكون بعضها غريباً أو يبدو غير «منطقياً». في هذه الحالة تدخل معايير المعلم/ة في الحكم على هذه الأفكار، وبالتالي ينتقي ما يريد من أفكار ويركز عليها ويهمل الأفكار والآراء الأخرى، ما يجعل أصحاب هذه الآراء من الطلاب يشعرون بخيبة الأمل وأنهم لا يستطيعون قول شيء مفيد أو المشاركة بفعالية بالنقاش.

– **مضمون التعليم:** عندما يتضمن التعليم تعاليم مذهب أو عقيدة أو مبدأ سياسي محدد وخصوصا في المؤسسات التعليمية الدينية أو التي تعلم الدين كمنهج تفكير وحياة، يتم إقحام الأطفال في قضايا ليست قضاياهم، وتفرض عليهم أن تكون لهم أفضليات وتحيزات خطيرة لا يعونها، دون أي حق في الاختيار الحر. وهنا تتم مصادرة حقوق الأطفال في ممارسة طفولتهم ببراءتها وبساطتها، ويتم حرمانهم من فرحهم الطفولي الصغير من خلال زجهم في أمور لا يجب أن يقرروا فيها إلا بعد بلوغ سن الرشد كما يتم حرمانهم من الحق في التفكير والتعبير عن الذات . وفي نفس الوقت يحرم المجتمع من امكانيات التغيير والتطوير فيبقى القديم على قدمه دون أي اضافات..

– **النية والقصد من التعليم:** عندما تكون نية المدرس أو الهدف من العملية التعليمية الوصول إلى نتيجة أن يعتقد الطالب ان معلومة معينة هي حقيقية بطريقة لا يمكن ان تهز اعتقاده، يركز المعلم/ة على تلقين الطلاب معلومات معينة موجودة في المنهاج المدرسي في أي موضوع من المواضيع الدراسية، وجعل الطالب يؤمن أنها حقيقة مطلقة لا يمكن التشكيك بها ويجب أخذها كمسلمات، وما أكثر المسلمات والمطلقات التي نؤمن بها نتيجة لنظام تربوي تعليمي جامد لا إبداع فيه!.

– **نتيجة التعليم:** عندما تكون نتيجة التعليم عبارة عن شخص ملقن لديه قناعات وخصوصا الغيبية منها لا يمكن التشكيك في صحتها على الرغم من وجود دلائل واضحة على عدم صحتها، يفتقد الطالب المرونة في تقبل النقد لما لديه من قناعات ويفتقد التسامح مع من يختلف معه في الرأي أو الفكر أو المظهر أو الشخصية.

## مدارسنا ومصادرة الحقوق بالتعلم

يسعى الكثير من التربويين والأهالي والطلاب أنفسهم أثناء العملية التعليمية الى توفر جو من التقبل والاحترام والإصغاء لآراء الآخرين واحترامها، من خلال السماح للجميع بالمشاركة إلى جانب الموضوعية أثناء الطرح وتبادل الآراء في العملية التنموية.

لكن السؤال المطروح هنا: هل هذا هو الجو المتوفر لأطفالنا في المدارس وفي رياض الأطفال؟ في الوقت الحاضر تعاني الكثير من المدارس –وحتى رياض الأطفال– من مشاكل كثيرة متعلقة بالتلقين أو »التشريب« الذي يستخدمه المعلمون/التربويون في التعامل مع الطلاب وخصوصاً في القضايا الخلافية أو الجدلية مثل قضايا الدين والعادات وثقافة «العيب والحرام». ففي مجتمعنا يستخدم المعلمون سلطتهم كونهم الأكبر سناً، والأكثر تعلماً وثقافة وكونهم يمتلكون الصلاحيات «السلطة» لإدارة الصف أو العملية التعليمة داخل الصف، لتشريب افكارهم ومبادئهم ومعتقداتهم لطلابهم، أو لعرض طريقة تفكير أو منهج دراسي معين عليهم.

السؤال الأهم: هو ماذا نريد من أطفالنا وطلابنا ومن جيل المستقبل؟ هل نريد جيلاً متميزاً، مبدعاً خلاقاً، يواجه مشكلاته؟. أم نريد جيلاً يخزن معلومات وبيانات وأفكاراً ومعتقدات، تتغير يوماً بعد يوم وتتغير من جيل إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر؟أين الخيارات الواسعة والمفتوحة أما الطلاب ، أين أنماط التفكير المتعددة التي تضيء الطرق امامهم؟، وهل يملك اصحاب القرار في السلك التعليمي والتربوي والاتجاهات الايديولوجية فطنة ولو بسيطة مما عند فريري؟ وهل صنع عقول حرة وخلق واقع تعليمي مبدع يقع على سلم أولوياتهم؟

إذاً أسئلة كثيرة تواجه المجتمع برمته تبحث عن إجابة لها. ومن هنا، فإن الدعوة إلى نظام تعليمي تسوده حرية الفكر والإبداع وتحييد القيم الخاصة للتربويين أصبح ضرورة لا غنى عنها، من اجل جيل مبدع وخلاق.